المجلة الأردنية للفنون، مجلد 7، عدد 2، 2014، 111- 132

الدلالات الرمزية لمفردات التعبير كلغة بصرية للبيئة السعودية

شيرين معتوق الحرازي

قسم الرسم والفنون، كلية التصاميم والفنون، جامعة الملك سعود، جده.

تاريخ الاستلام: 2013/9/19 **تاريخ القبول:2014/5/26**

The Symbolic Connotations of the Expressional Configuration as a Visual Language in the Saudi Environment

Shereen Al-harazi, Collage of design and Arts, King Saud University, Jedah.

ملخص

تعد المفردات البيئية أحد أهم عناصر اللغة البصرية التي لعبت دوراً بارزاً في الأعمال الفنية عبر العصور واحتلت دوراً بناءً في اللوحة التشكيلية وفي صياغة وتوضيح مضمون العمل الفني وفكرته. وتحدد المفردات البيئية الموجودة في بيئة الفنان جماليات بصرية وفكرية ذات خصائص ودلالات مميزة، كما تحدد محفزات التعبير الشكلية والمعنوية التي ترتبط في مجملها مع بعضها البعض لتكون في النهاية لغة بصرية يستوعبها الفنان في عقله ووجدانه ويترجمها في واقعه ومحيطه.

وكل مفردة من هذه المفردات في البيئة السعودية تحتل مكانة تاريخية وأيديولوجية وتلعب دوراً كبيراً في حمل المعنى، وذلك من خلال علاقات مرتبطة تعطينا الشكل الثابت لتلك المفردة والتي تحمل دلالات تواصلية تعبر عن الأبعاد التاريخية لها، الأمر الذي يحتم معرفة مصادر هذه المفردات ومعرفة طبيعتها وتحليلها ويدفعنا إلى ضرورة البحث فيها عن لغة بصرية ذات أساس تاريخي وجمالي للتوصل إلى الأساس الفلسفي الذي تقوم عليه والذي ينبغي للفنان معرفته قبل إدراجها ضمن مكوناته التعبيرية للخروج برؤية ثقافية وجمالية معاصرة تساعد علي تحليل تلك اللغة البصرية المؤثرة في فكر الفنان.

الكلمات المفتاحية: المفردات البيئية، دلالات شكلية، دلالات معنوية، اللغة البصرية.

Abstract

Environmental configurations is one of the most important elements of visual languages, which played a prominent role in art works through the ages and occupied a constructive role in paintings and in the formulation of the idea and content of art works . The environmental configurations that exist in an artist`s environment defines visual and intellectual aesthetics with characteristics and distinctive signs. It also stimulates formal and moral Expressions, which are entirety associated with each other, to lead to an understandable visual language in the artist`s mind and conscience, which language is then translated into reality and its surroundings.

And every singleone of these configurations in the Saudi environment occupies a historical and ideological place and plays a major role in carrying meanings, through different relations that give us the stable shape for those configurations and carries signs of communication that reflect the historical dimensions, which requires knowledge of the sources and nature of these configurations. Analyzing drives these configerations to search for a visual language with historical and esthetic basis that leads to the a philosophical basie which the artist should know before including those configurations within his expressive components and brings out the cultural and aesthetic values and to help analyze the visual language influencing the artist.

المقدمة:

إن البيئة التي يعيش فيها الفنان بمفرداتها وعناصرها وخصائصها هي بمثابة الحافز والدافع إلى الإبداع الفني في التشكيل والتعبير بما تحويه من مثيرات ومؤثرات كعناصر فنية وتشكيلية لها دلالاتها المعبرة عن الزمن والتاريخ، يستمد الفنان المبدع ويستوحي مصادر إلهامه ورموزه من الطبيعة البيئية التي يعيش فيها، فهي تكوّن المستوى الثقافي البصري والفكري لديه وتشارك في صياغة خياله وتعبيره، وتعتبر المفردات البيئية المرتبطة بالتراث من أبرز عناصر التشكيل الملهمة والتي يظل الفنان في بحث دائم ومستمر عن الرابط أو العلاقة التي تجمع بين مفرداته المستلمة ورؤيته الفنية الحاضرة وتعطيه المقومات الصحيحة للجمال والمعنى، فتلك المفردات على تباين أشكالها ووظائفها لها دلالاتها كأنساق يتشكل منها الكون ككل، فهي نتاج للعديد من التعديلات والتحويرات لأشكال من الطبيعة اختزلت لتأخذ بعداً اجتماعياً له قيمة تواصلية ورسالة إخبارية ذات محتوي جمالي أيديولوجي، ولتأخذ كذلك بعداً فنياً باعتباره لغة تشكيلية يستخدمها الفنان للتعبير عن أشكال تجريدية ولونية غنية بالقيم والمفاهيم.

وتتناول هذه الدراسة المفردات البيئية السعودية بنظرة جمالية تحليلية للوقوف على الشكل الفني ودلالاته وعلاقة الأجزاء بالكل المكونة له، والعلاقات فيما بينها والتي تعطينا الشكل الثابت لتلك المفردة، والذي يتجاوز كونه مجرد شكل أو صورة رمزية، إلى وجوده كعنصر غالب في الفنون البصرية حاملاً لدلالة وممثلاً لمحور أساسي من المحاور التي تدور حولها معظم الفنون البصرية وتأكيداً لدور تلك المفردات في التعبير الفني عن المدركات البصرية.

مشكلة الدراسة:

تعد المفردة البيئية السعودية أحد أهم العناصر البارزة والرئيسية في ربط الماضي بالحاضر في أي فن بصري والتي تحتاج إلى مزيد من التحليل والتمحيص لاستيعابهما حيث إن الأصالة هي أساس المعاصرة؛ لذا لجأت الدراسة إلى البحث في الدلالات الثقافية والجمالية للمفردات البيئية السعودية كلغة بصرية معاصرة ووسيلة للوصول إلى التحديث وتطويعه مع متطلبات الواقع.

أهمية الدراسة:

التأكيد على أهمية المفردات البيئية السعودية لدى الفنان المعاصر والتعرف على أصولها ودلالاتها ودورها الفعال كلغة بصرية لها دلالة الاستمرارية.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على المفردات البيئية في المملكة العربية السعودية واستيعاب ما تعكسه من قيم وأيضاً الإسهام في تسليط الضوء علي دلالاتها ومعانيها ودورها في الإبداع كوحدة بناء عند الفنان المعاصر.

محاور الدراسة: تندرج هذه الدراسة في ثلاثة محاور:

المحور الأول: يستهدف توضيحاً لمفهوم المفردات البيئية من مختلف المجالات الثقافية والمعرفية والتعريف بها وبمكانتها وبأهم مميزاتها. أما **المحور الثاني:** يستعرض دراسة تحليلية للمفردات البيئية من خلال الرجوع للمنابع وتصنيف مصادرها، واستعراض خصائص المفردات البيئية السعودية وعلاقتها بالتاريخ وبالمفاهيم الأيديولوجية ومن ثم التوصل إلى تحليلها وتصنيفها ضمن قواعد الشكل الفني والتعرف على دلالة الشكل والمعنى والتي ارتبطت بالبيئة. أما **المحور الثالث:** يحدد فاعلية المفردات البيئية كلغة بصرية وأهمية استثمارها كمفردة تشكيلية في الفنون المعاصرة وأثرها على النشاط الفني، ومن ثم أخيراً طرح الاستنتاجات النهائية للدراسة.

أولاً: المفردات البيئية:

قبل الحديث عن المفردات البيئة يجدر بنا توضيح مفهوم البيئة المحيطة بنا التي لها الأثر الأكبر في تشكيل مفردات البيئة المعنية بالدراسة في البحث.

فالبيئة عبارة عن المكونات المادية التي تحيط بنا ابتداءً من الماء والهواء والمناخ والتربة والكائنات الحية وغير الحية الموجودة علي سطح الأرض والتي يتفاعل معها الإنسان، وقد تكون هذه البيئة طبيعية من صنع الخالق جلّ علاه أو قد تكون صناعية من صنع الإنسان الذي أوجدها ليتكيف بها مع محيطه.

ويعرف قاموس ويبستر (2013) البيئة بأنها: "مجموع الظروف الاجتماعية والثقافية التي تؤثر على حياة الفرد أو الجماعة، كالعرف والقوانين، واللغة والدين، والمنظمات".

وقد أنتجت المنظومة البيئية أنماطاً عدة نتجت مع التطور البشري كالبيئة السياسية، والاجتماعية، والجغرافية، والمناخية، والاقتصادية، والبيئة الشعبية، والتي شكلت النظام العام للمجتمع الحديث، وبخاصة منظومة قيمه ومعتقداته وبنائه. وسواء أكانت هذه البيئة طبيعية أم صناعية أم كانت من تبعات الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية أو الجغرافية أو المناخية فإنها تشكل في مجملها دائرة متكاملة تحوي بداخلها بيئة حيوية عبّر عنها الفنان باستخدام رسومات ومفردات بيئية عبرت عن حياة ساكنيها وأنماط معيشتهم، في أشكال معينة حددت ملامح لشخصيتها ضمن حدود مكانية معينة، وبأنماط بيئية وعلاقات ترابطية دلت عليها.

وعليه فإن تكيف الإنسان مع البيئة والمجموعة تم وفق منظومة من العادات والمفاهيم والأفكار والتصورات التي حققت لتلك الرموز خصوصيتها من مكان لآخر، وهكذا أصبح لمنظومة الرموز ودلالاتها ومفهومها التعبيري أصول وجذور تاريخية يستند إليها كمرجع باعتبار أنها على تباين أشكالها ووظائفها تحمل دلالات تواصلية تعبر عن الأبعاد التاريخية، الأمر الذي يحتم معرفة مصادر هذه المفردات البيئية ومعرفة طبيعتها وتحليلها.

تعريف المفردات البيئية:

إن المفردات البيئية لغة خاصة بالجنس البشري دون غيره لأنها من صنعه، فهي فن فطري ابتكره الإنسان منذ آلاف السنين ليعبر به عن واقعه وخيالاته، تقوم على ترجمة المعتقدات والأساطير والتعبير عنها في صور حرة، فهي رسالة إخبارية يتم تداولها محتفظة بقيمتها التعبيرية على مر العصور.

وتعرف المفردة بأنها: "الشكل الواحد ذو القياس الواحد"، ويعرفها رشيد الفخفاخ بأنها: "شكل هندسي بسيط أو مركب يتكرر بإيقاعات بصرية منتظمة وغير منتظمة، حسب توزيع شبكي محدد". أما الحبيب بيدة فهو يصفها كما يلي: "هي العنصر البنائي الذي مورست عليه أفعال تنسيقية وترتيبية وتركيبية، فتكرر مكوّناً لتراكيب قوامها تنظيم هندسي حسب توزيعات واتجاهات معينة" (الجموسي، 2007م).

وعرف أوكفرك (Okverk) المفردة بأنها: "عنصر بناء العمل الفني الذي يستخدم لإظهار الشكل الفيزيائي أو التعبير عن العمل الفني"، ويؤكد هذا التعريف على أهمية المفردة ودورها كعنصر رئيسي في إبراز جوانب العمل الفني ومضمونه وقد حدد وظائف المفردة في إظهار الشكل الفيزيائي، وهو ما يعنى إظهار ماهية الشكل فالمربعية مثلاً هي صفة الشكل المربع تتحقق وتظهر من خلاله، والشجرية هي صفة وخاصية للشجرة تظهر من خلالها كما تتضح فيها معالمها وخصائصها. أما بيتر فيليبس (Peter Phillips) وجلين بنوسيه (Jellen Punce) فيعرفان المفردة بأنها: "ما يستخدمه الفنان في عمل تكوين أو نموذج بواسطة تكرارها في نظام مفصول عن السطح"، وهى في حد ذاتها ليست نموذجاً وإنما تستخدم في عمل النماذج التي تختلف باختلاف ترتيب وتنظيم المفردة بداخلها. وقد استخدم تعريف وظيفي في تحديد معنى المفردة، من خلال استخداماتها في التكرارات المتعددة لها بصورة ثابتة لإنتاج النماذج. (سلامة، 2009م).

ومفردات البيئة تشمل كل مظاهر البيئة الشعبية بأوسع معانيها ومدلولاتها وموجوداتها العيانية المادية والشفهية المنطوقة والروحية والطقوس الممارسة بحسب التقاليد الخاصة سواء الدينية أو الشعبية أو الممزوجة من كليهما.

وتعد المفردات البيئية محصلة تفاعلات تاريخية واجتماعية ارتبطت بحياة الشعوب وعوالمها الروحية والدينية والثقافية والتي كان نتاجها ولادة هذه المفردات البيئية التي عبرت عن حياة الشعوب واستخلصت ظواهر الطبيعة والواقع المحيط بنا.

ومع اختلاف التعريفات والمفاهيم إلا أن خلاصتها جميعاً تدل علي أن المفردات البيئية هي الشكل الذي يحمل دلالات مشتركة ومختزلة للعديد من المعاني المرئية في البيئة ليعبر بها الإنسان عن تجربة شعورية تنقل الفكرة للمتلقي كقيمة تواصلية ورسالة إخبارية ذات محتوى جمالي أيديولوجي.

كما تختلف المفردة البيئية عن كل من والرمز والشكل والكتلة في احتوائها علي مميزات خاصة ومحددة تعطيها فرادتها وهي:

مميزات عملية:

وهي ما يتعلق منها بشكل المفردة التي تحمل مضامين خاصة يصوغها الفنان لكي تعبر عن فكره بما يتوافق مع خصائصها ومرونتها في التغيير الشكلي والمدلول، بما يحقق فكرة عمل الفنان، وتحقيق التكامل بين المفردة وإنشائية العمل الفني.

مميزات بصرية:

الإيقاع والتكرار وتجانس المفردة مع عناصر العمل الفني في الحجم والاتجاه الفني والقدرة علي استخدام المفردة بأكثر من شكل أو هيئة، والقدرة علي استخدام أكثر من معادل بصري للمفردة الواحدة في التعبير عن مدلول واحد.

مميزات موروثة:

وهي الشكل التقليدي للمفردة ودلالاتها الرمزية المتعددة التي قد تكون ثابتة أو متغيرة. وهي مميزات حضارية وتاريخية وتمثّل تراكمات ثقافية مشتركة داخل المجتمع الواحد.

مميزات مكتسبة:

تأثير التطور العلمي والتكنولوجي علي الشكل العام للمفردة سواء بالإضافة أو الاختزال وربطها بكل من الخامات والتقنيات؛ فهي تحتوى على المعنى وتمثل الخامة في نفس الوقت.

ثانياً: دراسة تحليلية للمفردات البيئية:

إن دراسة المفردات البيئية وعلاقتها بالإنسان من الدراسات التي تستند إلى علاقة الإنسان بمحيطه والعالم وبرؤيته الكونية. لقد استطاع الإنسان خلال مراحل تاريخية مديدة أن يتكيف مع الطبيعة من حوله، ويكيفها لحاجاته، فعمل الفنان البدائي على تطويع عملياته الفكرية والروحية في مفردات، وقد كانت النشأة الأولى لهذه المفردات في داخل الكهوف التي ملأها ذلك الفنان بأشكال وإشارات داخل أنماط متكررة وإيقاعات متبادلة ارتبطت وظيفتها مباشرة بلغة التعبير والتواصل، وكما حددها أرنست فيشر (Fischer) " فإن الوظيفة الأساسية لتلك الأشكال كانت منح الإنسان القوه إزاء الطبيعة أو إزاء رفيق الجنس، أو إزاء الواقع، أو قوة لدعم الجماعة الإنسانية، فلم يكن لذلك الفن في فجر الإنسانية بالجمال أو النوازع الإستاطيقية صلة على الإطلاق إنما كان أداة أو سلاحاً سحرياً في يد الجماعة الإنسانية في صراعها للبقاء. (فيشر، 2002م، ص17)

ولمعرفة مصادر المفردات البيئية للمملكة العربية السعودية يتوجب علينا معرفة خلفية تاريخية عن المنطقة، حيث تقع المملكة العربية السعودية في أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا، وتشغل المملكة العربية السعودية أربعة أخماس شبه جزيرة العرب وتتنوع تضاريس المملكة نظراً لاتساع مساحتها فهي تتكون من السواحل والجبال والسهول والأودية والصحاري الشاسعة.

في حين أن مناخها يختلف باختلاف تضاريسها فهي تقع تحت تأثير المرتفع الجوي المداري، وعموماً فمناخ المملكة العربية السعودية قاري حار صيفاً بارد شتاء وأمطارها شتوية، ولهذه الطبيعة الجيولوجية والجغرافية أثر واضح في مختلف أوجه النشاط الإنساني الذي انبثقت منه الرموز الشعبية في المملكة العربية السعودية والتي استقى منها الفنان القديم زخارفه ورموزه ودلالاته، فقد أصبح لكل منطقة من مناطق المملكة حرفها الخاصة بها التي تلبي احتياجاتها وطبيعتها الجغرافية، فامتهن الناس الرعي والفلاحة والصيد والقنص وصناعة الفخار بالإضافة إلى الصناعات المعدنية والحرف الخوصية والنسجية.

وعليه فإن تكيف الفرد مع تلك البيئة تم وفق منظومة من العادات والمفاهيم والأفكار والتصورات التي حققت لتلك المفردات خصوصيتها من مكان لآخر، وهكذا أصبح لمنظومة المفردات البيئية دلالاتها ومفهومها التعبيري وأصول وجذور تاريخية يستند إليها كمرجع باعتبار أن هذه المفردات على تباين أشكالها ووظائفها تحمل دلالات تواصلية تعبر عن الأبعاد التاريخية، الأمر الذي يحتم معرفة مصادر هذه المفردات البيئية ومعرفة طبيعتها وتحليلها، وتحديد العلاقات الأساسية بين الشكل والمضمون الذي يحمله، وأثر كل منها على الآخر وبالتالي على المتلقي، وذلك من خلال دراسة الخلفيات التالية:

1. المنابع التاريخية للمفردات البيئية:

لقد كان لاندماج الفنان البدائي مع الثقافات المتنوعة أثره في ظهور أنماط متعددة للمفردات البيئية استخدمها الفنان في زخرفة معظم فنونه وحرفه اليدوية، ويذكر الباحث أووي جورج (Uwe Gorge) أن المفردات والأشكال المنحوتة على جبال وكهوف المناطق الأثرية في الجزيرة العربية هي لوحات فنية رائعة تجسد كنزاً ضخماً لدراسة تاريخ العرب وحضاراتهم القديمة وتعكس تاريخهم. (George, 1997, pg6).

ولبعض المفردات البيئية دلالات ومعاني تشترك فيها البشرية جمعاء، وبعضها يشترك فيه أبناء الحضارة الواحدة في سياق زمني محدد، وعليه يمكن تصنيف مصادر المفردات البيئية كالتالي:

أ. اللغة:

إن اللغة أساس من أساسيات التواصل الثقافي فهي أصوات ناقلة ومورثة للثقافة، ولها دور اجتماعي وجغرافي وتاريخي لما تحققه من التميز والهوية. وتوضح سوزان لانجر (Susan Langer) العلاقة بين اللغة والشكل بقولها بأن عالم المعاني أوسع بكثير من عالم اللغة وأن اللغة هي وسيلتنا الأولى للتعبير التصوري, وأننا نجد في الميتافيزيقا والفن رموزاً تعبر عن معانٍ عقلية ذات مظهر مادي، فاللغة عندها هي الأساس الذي تقوم عليه الأشكال (إبراهيم، 1988م).

ولقد حاول أرنست كاسيرر (Cassirer) أن يجد في هذه المفردات مفتاحاً لفهم طبيعة الإنسان من خلال اهتمامه بالأشكال اللغوية والفنية والمثيولوجية التي تمثل وسيطاً شكلياً يواجه به الإنسان الكون وما حوله، لتصبح هذه الأشكال عبر السنين نتاج تفاعل بين عالم الإنسان وعالم الواقع. فقد أورد كاسيرر مبادئ أساسية تبرز اللغة في صورة أوسع من أنها مجرد أداة للتواصل، فاللغة خاصة الشفوية منها، تتقاسم مع سلسلة من الأنظمة التي تشكل في مجموعها أجزاء هامة من كون الإنسان، وهذه الأنظمة تتمثل في الخرافة والدين والعلم والتاريخ، وبهذه الأنظمة تمكن الإنسان من التعبير عن الواقع الطبيعي المادي بلغة الواقع الاجتماعي البشري والتي ترجمها إلى أشكال ودلالات فأبدع في تجسيد ورسم هذه اللغة والحروف والكلمات (Cassirer، 1975).

ب. العادات والتقاليد:

العادات والتقاليد هي الأساليب السلوكية وما يتصل بها من قيم واتجاهات يشترك فيها أفراد المجتمع مع اشتراكهم في طرق المعيشة، وهي جزء لا يتجزأ من تراث وحضارة الشعوب ولكل بلد عاداته الخاصة به والتي يتم توارثها، وهي الشرط الوجودي لعملية التركيب والتآلف بين العناصر المؤلفة للمجتمع. فالعادات هي ما اعتاد عليه الناس ويكررونه في شتى المحافل والمناسبات كالمأكل والمشرب والملبس، أما التقاليد

فهي ما يتوارثه جيل من بعد جيل فيصبح تقليداً سائداً، كمراسم الاحتفالات وتقاليد الزواج والموت والإرث والملكية والنواحي الأخرى من الفنون الشعبية.

وضرورة فهم أبعاد العادات والتقاليد الاجتماعية يمكننا من تحديد أثرها في تشكيل خصائص المفردات البيئية كقيمة جمالية وقيمة وظيفية، فالتجربة الإنسانية المتفاعلة مع الموروثات الاجتماعية هي التي أنتجت أشكالاً ودلالات مفاهيمية وفكرية مستحضرة من الموروث الحضاري والاجتماعي.

ج. الحكايات والأساطير الشعبية:

يحمل كل مجتمع أو شعب العديد من القصص والحكايات والأساطير الخاصة به، والأسطورة سرد قصصي لا يستند إلى راوٍ أو مؤلف بعينه، إنما هي حكايات تتضمن بعض القصص التاريخية إلى جانب قصص خرافية شعبية ألفها الناس منذ القدم، وهي تخدم أغراضاً متنوعة كمحاولة لتفسير الظواهر الطبيعية، أو تحقيق عبرٍ عن الحياة، وهي تصدر عن العاطفة والشعور لا عن العقل الواعي. وهذه المفردات تشتمل على شتى مظاهر النشاط البشري خاصة الحلم والأسطورة والميتافيزيقا وغير ذلك، وقد تتأثر هذه الحكايات والأساطير بالثقافات الأخرى وذلك نتيجة للاحتكاك المباشر وغير المباشر بتلك الثقافات، وقد تأثرت المفردات البيئية كثيراً بتلك القصص والحكايات، والتي استلهمت روح أشكالها منها، واكتسبت معاني دلالاتها منها. فكانت المفردات البيئية ترجمة حقيقية لتلك الأساطير التي عبرت عن ردة فعل الشعوب في تصوير مواقفهم وعاداتهم وتقاليدهم وأفراحهم وأحزانهم وصراعاتهم بين الخير والشر، والقصص البطولية والأشعار والقصائد التي يتغنى بها والقصص الخرافية، وقصص أخرى تدور حول الشخصيات المقدسة والدينية.

د. المعتقدات الدينية:

تلعب المعتقدات الدينية دوراً أساسياً في حياة الشعوب المختلفة، فقد كانت وثيقة الصلة بالناس في شتى أمور دنياهم وآخرتهم وفي مختلف نواحي نشاطهم، وبالتالي أثرت على فنونهم ورسومهم، فالمعتقد منظومة فكرية ترتبط بعالم المقدسات وأصبح الشكل من أهم الوسائل الفكرية التي تحول تلك المعتقدات إلى صور محسوسة مرئية.

والعقيدة الإسلامية هي القاعدة المركزية في التفكير الإسلامي، والتي تصوغ للإنسان المسلم نظرته التوحيدية للكون والحياة، وقد اكتسبت المفردات مدلولات روحية هامة في أحضان الفكر الديني قبل الإسلام وبعده. وبالنظر للعلاقة بين المفردات البيئية والمعتقدات الدينية نجد أنهما وجهتان لا يمكن فصلهما عن بعضها البعض، فالعقيدة والمفردة البيئية هما عاملان في غاية الأهمية والجوهرية؛ فالقيمة الجوهرية الكامنة في المفردة البيئية هي في إيقاعها وتجريدها وارتباطها بضوابط العقيدة والدين، وأصبحت وظيفة المفردة البيئية تحت مظلة الدين ليست نقل ما هو مرئي بل إظهار ما هو غير مرئي والتعبير عنه في صور دلالية شكلية دون المحاكاة الحرفية.

2. خصائص المفردات البيئية:

يقول شوبنهاور (Schopenhauer): "إن المهم في الفن وما يعطيه معناه الحقيقي، ليس فقط أن ينقل الصورة، أعني الجوهرية في الفن هي التعبير لا الصور. لأن الصورة في ذاتها ليست جميلة وإنما الجميل ما يجعل الصورة متحققة بوضوح وكمال، يعني المعنى الفني". (توفيق، 1983م).

إن كل مفردة من المفردات البيئية لها خلفية طويلة من الاستمرارية ولها ميلادها الذي يحمل دلالتها الأولى والتي قد لا يصل مغزاها إلينا. وكثيراً ما تكون المفردة بسيطة في مظهرها الذي آل إلينا، بينما هي في الحقيقة نتاج مسلسل من التعديلات والتحويرات لأصل يختلف كلية عن المفردة الحالية. ففي بعض الحالات تكون المفردة الأقدم قد بدأت أطوارها الأولى شكلاً تمثيلياً ثم اختزل بتلاحق عمليات النقل والتطويع وأخذت تختفي رويداً رويداً مظاهرها التمثيلية لتلبس ثوباً هندسياً. وما من شك في أن بعض هذه المفردات لها دلالتها بالنسبة لزمانها ومكانها وغير مفهومة لنا الآن، حيث فقدت شيئاً فشيئاً معناها الأول وغدت أداة طبيعية في يد الفنان بعدد وفير من الوحدات. وفي أثناء عملية التحوير والتطوير واختفاء بعض الأصول الأولى لتحل محلها وحدات مطورة قد تبقى أسماء تلك الوحدات مرتبطة بالمفردات الجديدة، بينما قد تسقط من الذاكرة الدلالات والمعاني المرتبطة بها، وقد تتحول المفردات الجديدة إلى مجرد زخارف صماء أو ترتبط بمسميات جديدة ربما تكون بعيدة كل البعد عن المسميات القديمة التي فقدت مغزاها الأصلي (حسن، 1989م).

والمفردات البيئية ليست مجرد علامات أو دلالات تشير إلى بعض المعاني أو الأفكار فقط بل هي مجموعة من الصور التي يشترك فيها طرفان يعبران عن فكرة ما في صورة فنية من خلال علاقات من الاندماج والانفصال والاتصال لتعطيا الشكل الثابت للمفردة. وقد وصف فيليب سيرنج هذا الشكل بقوله: "هو شيء ما يقف بديلاً عن شيء آخر أو يحل محله أو يمثله بحيث تكون العلاقة بين الاثنين علاقة الخاص بالعام أو المحسوس العياني بالمجرد وذلك على اعتبار المفردة الشكلية شيئاً له وجود حقيقي فعلي إلا أنه يشير إلى فكرة أو معنى محدد (سيرنج، 1992م، ص 43).

فالمفردة تشير إلى الموضوع أو الشيء المشار إليه، على أساس من قانون أو قاعدة أو عادة أو اتفاق أو ارتباط في التصورات والأفكار، على أنه يعني ذلك الشيء، فالعلاقة بين المفردة والمعنى الذي تشير إليه ليست علاقة طبيعية، بل علاقة تستند إلى اتفاق بين الذين يستخدمون المفردة على أنها تشير إلى معنى محدد، فهي دلالة تواصلية تحمل معاني عدة (Charles Sanders,1958, pg 76).

والمفاهيم الاصطلاحية للاتصال والتواصل في معاني المفردات البيئية مشبعة بحمولة دلالية سيكولوجية وسوسيولوجية، حيث تحمل معاني الربط والعلاقة والقصدية، مع تأكيد على تضمين البعد السيكولوجي والسوسيولوجي للعملية الاتصالية في أي صيغة من صيغها حيث تكون هذه المفردة إما:

1. مفردات مباشرة وهي المفردات المختصة التي تدل على شيء بعينه كأن تدل الشمس على النهار والقمر على الليل.
2. مفردات غير مباشرة وهي التي تكون دالة على شيء أو معنى وتسمى رموزاً "سيسيوثقافية"، كأن تدل النخلة على قيمة اجتماعية ويدل الهلال علي قيمة دينية.

3. جماليات المفردات البيئية:

تشترك جميع المفردات البيئية على تباين أشكالها ودلالاتها في كونها أشكالاً فنية تتكون من الخطوط والكتل فلا تخلو المفردات البيئية من بعض العناصر الفنية التشكيلية من الخط والمساحة واللون والملامس. وعلاقة هذه العناصر بعضها بالبعض الآخر وما تشتمل عليه من إيقاع وترديد هو التي تحقق صفة الجمال، ذلك لأن الطبيعة نفسها لا تخلو من هذه العناصر وارتباط هذه المفردات بتلك العناصر هو الذي يعطيها جمالها الذاتي النسبي.

ويقول سانتا يانا (Santa Yana): إننا لو أمعنا النظر في الطبيعة لوجدنا أنها حافلة بالنماذج العضوية المنتظمة والعناصر المتماسكة المتسقة وهي بمثابة الأسس التي نستطيع الاستناد إليها، مع اعتبار ان الانسان قد احتاج الي فترة طويلة من الزمن ليتمكن من استخلاصها (إبراهيم، 1988م).

وتستنبط المفردات البيئية شكلها الخارجي من مصادر عديدة ومتنوعة مستمدة من الحياة الإنسانية ومن الطبيعة، ولكنها جميعاً تجسد أفكار الفنان أو الإنسان في لغة مفعمة بالأدلة التي تتداخل فيها الأشكال مع الأحاسيس والتي يتم استحضارها من ذاكرة الفنان وإعادة تركيبها في طابع إيقاعي يبرز القدرة الابتكارية والإبداعية للفنان.

وتتمثل جماليات المفردات البيئية في كونها إبداعات شعبية فطرية تختزل أشكالاً تعبيرية وأنماطاً فنية تعبر عن الحياة عاكسةً لرؤية جمالية مزجت بين الممارسة الفنية والروحية في فكر وأصالة، وهذه الجماليات تتجسد في التالي:

1) التسطيح والتجريد:

تتمثل معظم المفردات البيئية في أشكال فنية مسطحة، أي ذات بعدين، فيعتمد الفنان البدائي على أشكال بسيطة مجردة من التفاصيل مستبعدة التجسيد والتجسيم متغاضية عن البعد الثالث ومهملة للمنظور وللعلاقات المتراكبة. ولعل ذلك يرجع إلى النظرة الدينية التي تؤكد على عدم المحاكاة في تمثيل الكائنات في الطبيعة.

2) المغالاة والتحريف:

تمتاز معظم المفردات البيئية في الابتعاد عن الدقة في التعبير والمغالاة في تصوير الأشكال، فهي إما أكبر أو أصغر من الحجم الطبيعي، ولعل تفسير ذلك أن الفنان يلجأ إلى رسم العناصر الأكثر أهمية في حجم أكبر من باقي العناصر مما يفقد الأشكال بعضاً من خصائصها الطبيعية، مع إهمال لقيم الضوء والظل.

3) البساطة والتلقائية:

يلجأ الفنان البدائي إلى البساطة في التعبير والتي يعتمد فيها على الحقيقة الظنية متجاوزاً للحقيقة العينية. فيستلهم الفنان عناصره وأشكاله من الطبيعة من حوله في شفافية وبساطة دون نقل للتفاصيل، من خلال التبسيط في العلاقات الخطية واللونية.

4) التكرار والترديد:

تعتمد غالبية المفردات البيئية على التكرار للأشكال في صورة منتظمة، والترديد في توزيع الخطوط والكتل في إيقاع متنوع، الأمر الذي يحقق جمالية التعبير. فيحاول الفنان بفطرته أن يترجم الحيوية والديناميكية في تلك الأشكال المتكررة، وفي بعض الأحيان يلجأ إلى استثمار أكثر من شكل أو رمز في صياغات بنائية قائمة على الترديد مما يحقق فكرة الاستمرارية.

4. دلالات المفردات البيئية:

إن المفردات البيئية هي تجسيد لروح الحضارة، قد يكون شكلاً أو اسماً أو إنساناً أو معنى، ومن الناحية التاريخية فقد لعبت المفردة دوراً مهماً في مراحل تكوين الحضارات وخصوصاً في الحضارة العربية، ولا توجد حضارات من دون أشكال، كون الحضارة تحتاج إلى شكل أو معنى أو صورة تتجسد فيها وبذلك تكون المفردات البيئية جزءاً من التاريخ، وجزءاً من الحقائق المكانية ولها مكان وزمان، وهناك شواهد كثيرة على استخدام المفردات البيئية في الحضارات الإنسانية والتي شكلت جزءاً من تاريخها.

وهناك صياغات كثيرة للمفردات البيئية منها ما يتفق مع جوهر الفكر الإسلامي ومنها ما وجد من قبل الإسلام في الجزيرة العربية واستمر من بعده، وتنوع هذه المفردات البيئية وتعددها أدى إلى تصنيفها إلى 4 مفردات، وهي:

1- مفردات نباتية.
2- مفردات حيوانية.
3- مفردات دينية وتراثية.
4- مفردات هندسية.

وقد قامت الدارسة بتصنيف بعض من أشكالها وتحليل أصولها ودلالاتها المعنوية والشكلية كالتالي:

أولاً : مفردات نباتية:

1. النخلة:

دلالة المعنى: تحمل النخلة العديد من التصورات الدينية والأسطورية، فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قصة مريم عليها السلام، واعتبرت النخلة شجرة مقدسة قبل الإسلام فنخلة نجران كانت معبودة يزينونها بأزياء نسائية طويلة قبل الإسلام، ثم أصبحت رمزاً للوفرة والنماء، ويعد النخيل من أهم الرموز الشعبية في المملكة إذ إن استخدامه يعبر عن الخير والرزق والثراء.

دلالة الشكل :

شكل (1) زخرفة جصية لأحد رواشين بيوت مدينة الهفوف- المملكة العربية السعودية

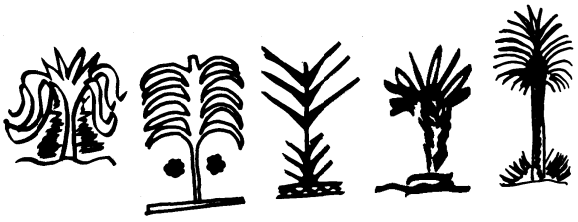

تحليل تصويري من قبل الباحثة لمفردة النخلة

2. الأزهار:

دلالة المعنى: اعتبرت الأزهار وفروعها رموزاً شعبية تدل على الحياة وهي عنوان للخير والنقاء، وهيئتها تعد رمزاً للجمال والخصوبة، كما تعد رمزاً للطبيعة المتجددة ورمزاً لطرح الخير والبركة. وقد استخدمت الأزهار كثيراً في تزيين واجهات وجدران المنازل من الداخل وخاصة في منطقة عسير في تركيبة ألوان زاهية قوية.

دلالة الشكل:

تحليل تصويري من قبل الباحثة لمفردة الزهرة

شكل (2) رسومات حائطية ملونة داخل احد بيوت عسير- المملكة العربية السعودية

3. الثمار

دلالة المعنى: اعتبرت الثمار في القدم رمزاً دينياً جنائزياً، وقد ورد ذكر الثمار بأنواعها في القرآن الكريم في سور عدة، وتعد من الرموز الشعبية الدالة على الحياة والازدهار، وهي رمز للعطاء والنمو والثبات ويعتبرها العرب رمزاً للصحة والشباب الدائم والحياة المديدة.

دلالة الشكل :

تحليل تصويري من قبل الباحثة لمفردة الثمار

شكل (3) رسوم ملونة على الجص من قرية الفاو - المملكة العربية السعودية

ثانياً: مفردات حيوانية:

1. الجمل:

دلالة المعنى: إن الجمل رمز للصحراء وكان له دور حيوي في شبه الجزيرة العربية على مر التاريخ. وقد أقسم الله تعالى به في القرآن الكريم. والجمل جزء لا يتجزأ من موروث المملكة، ويعد رمزاً للتراث البدوي، و الجمل علي مر التاريخ هو رفيق السفر وسفينة الصحراء ، وله في اللغة العربية أكثر من أربعين اسماً، وقد استخدم رمزه للدلالة على الصلابة والصبر وكذلك على المال.

دلالة الشكل:

شكل (4) رسوم لحيوانات من موقع جبة المملكة العربية السعودية

تحليل تصويري من قبل الباحثة لمفردة الجمل

2. الخيل

دلالة المعنى: الخيل رمز للقوة والمنعة وهو رمز للعروبة والفروسية، وهو أبرز رموز التراث السعودي وقد ورد ذكره في مواضع عديدة في القرآن الكريم، واعتبر من مصادر القوة والجاه ومتاع الحياة الدنيا، وقد ارتبط الخيل بالبادية والصحراء وأبدع في وصفه الشعراء، واستخدم الخيل كدلالة رمزية في كثير من الأمثال الشعبية، وهو يشير إلى الشجاعة والوفاء والخصوبة.

دلالة الشكل:

شكل (5) احد الأختام من حفريات مقابر جنوب الظهران- المملكة العربية السعودية

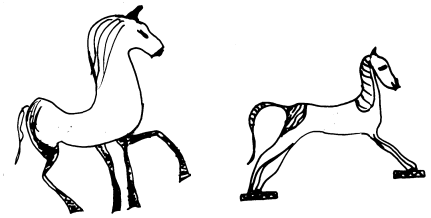

تحليل تصويري من قبل الباحثة لمفردة الخيل

3. الثور

دلالة المعنى: ويعد الثور من الرموز التي ترتبط بالزراعه والارض والعطاء ، إلى جانب اتصال صورته بالكواكب المعبودة عند العرب قديماً، وما يدور حوله من طقوس وعادات قديمة. وكان العرب الكنعانيون في الجزيرة يعتبرونه أكبر الآلهة، فجسدوه على شكل ثور وسموه بثور أيل. ويعد الثور من الرموز الشعبية التي تدل على القوة والخلود والتحدي.

دلالة الشكل :

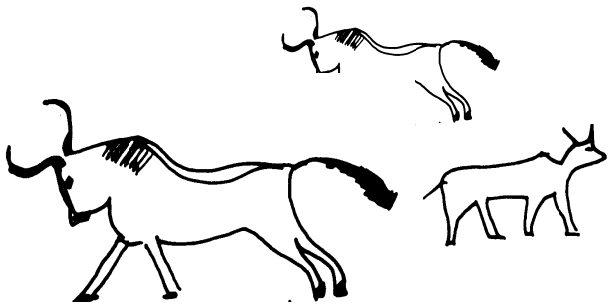

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة الثور

شكل (6) صورة لأحد المذابح الإسطوانية من منطقة ام درج- المملكة العربية السعودية

4. الافعي

دلالة المعنى: تعد الأفعى رمزاً قمرياً يرمز للبقاء نظراً لأن الأفعى تجدد جلدها كل عام، وهي رمز اتخذه ملوك الفراعنة، ترمز إلى القوة والحنكة، وترمز عند بعض الشعوب إلى الخصب، أو يوحي رسمها بالمكر والدهاء واستعمل نقشها قديماً كرصد لحماية وحراسة المباني والتحصين، وهي رمز للحياة عند العرب، وقد استخدم العرب الأفعى بكثرة في صياغة حليهم كرمز للحماية، وقد كانت تسمى بها ملوك جنوب الجزيرة في الممالك القديمة ورمزها يدل على الحماية والبقاء والاستمرارية.

دلالة الشكل:

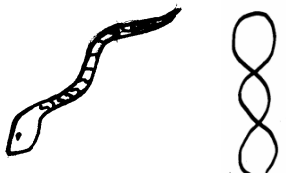

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة الأفعى

شكل (7) رسم منحوت لأفعى على احد الأحجار في منطقة الأخدود (منطقة نجران)– المملكة العربية السعودية

5.الغزال

دلالة المعنى: يعد الغزال حيواناً عربياً مقدساً، وقد ألف العرب العديد من القصائد والأمثال في هذا الحيوان الذي يرمز للجرأة والجمال، والعرب يشبهون المرأة الجميلة بالغزال، وهو رمز الصحة والنشاط، وقد احتل الغزال في الموروث الشعبي مكانة كبيرة نظراً لشكله الجميل وصفاته وطباعه

وكل نشاطاته المادية والمعنوية المتنوعة في الحياة، وهو رمز خير وتفاؤل واستبشار عند أبناء جزيرة العرب.

دلالة الشكل:

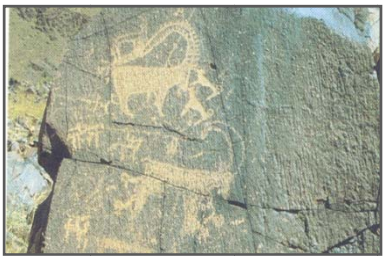

شكل (8) نقوش حجرية على الصخر من منطقة عسير، المملكة العربية السعودية

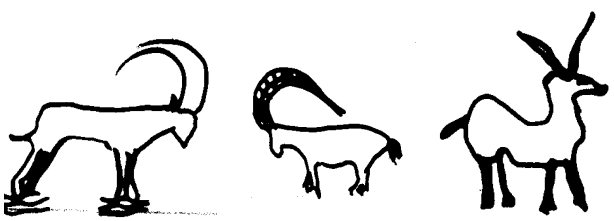

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة الغزال

6.الطيور

دلالة المعنى: الطائر له جذور تراثية قديمة في المملكة العربية السعودية منحته في كثير من الأحيان درجة التقديس وثياب الحكمة والورع وروح الخصوبة والحياة الدائمة، وقد ارتبط بالمعتقدات والخرافات والأساطير التي كانت تروي عن الطائر والتي جعلته عنصراً مهماً في الحياة والموت والحظ والمطر والحرب واستجلاء الغيب، ويرتبط رمز الطير عند العرب برموز ودلالات محدده منها التفاؤل أو التشاؤم.

دلالة الشكل :

شكل (9) حفر على الصخر من موقع بدا في محافظة الوجه– المملكة العربية السعودية

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة الطير

7.السمك

دلالة المعنى: يرجع رمز السمك إلى عصور ما قبل الإسلام، وقد ورد ذكر الحوت في القرآن الكريم في قصة سيدنا يونس عليه السلام. وهو رمز يدل على الكثرة والخصوبة والتوالد، وقد نقشه العرب قديماً على المباني والأحجار بغرض الوقاية وتعمير المكان وجلب الرزق، كما يرمز إلى النماء والخير واستمرار الحياة.

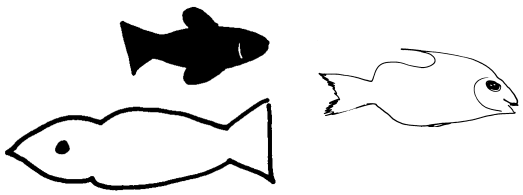

شكل (10) بقايا احد الرسوم الحائطية من قرية الفاو – المملكة العربية السعودية

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة السمك

ثالثاً: مفردات دينية وتراثية:

1- الهلال

دلالة المعنى: لقد عرف العرب دورة القمر واستخدموا الهلال قديماً في تحديد الزمن والتاريخ، وقد ظهر رمز الهلال في العصور الإسلامية الأولى ويعود غالباً إلى الإرث العثماني الذي استخدم ذلك الرمز في علم الدولة ومن ثم أصبح يستخدم كرمز في الإسلام فارتفع فوق المآذن وقباب المساجد.

دلالة الشكل :

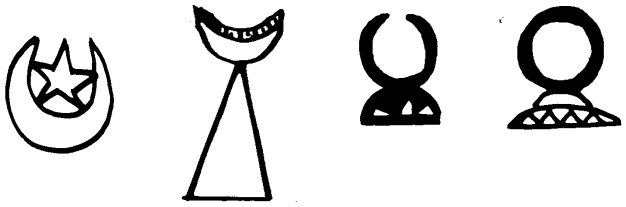

شكل (11) زخارف جصية فوق مدخل احد بيوت مدينة الطائف-المملكة العربية السعودية

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة الهلال

2- النجمة

دلالة المعنى: استخدم العرب النجوم كدلالة فلكية على الطريق، وقد وردت سورة النجم في القرآن الكريم وورد ذكر النجوم في مواضع عدة وقد ترمز النجمة الخماسية لأركان الدين الإسلامي الخمسة، وهي من الرموز الشعبية التي تدل على العلو والعزة

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة النجمة

3- الشمس

دلالة المعنى: وهي من المعبودات القديمة، لأنها تعتبر مركز النور والحياة وقد أقام عرب الجاهلية لها صنماً بيده جوهرة بلون النار، وورد ذكرها في مواضع عدة في القرآن إضافة إلى سورة الشمس، وقد أخذت في الفن الشعبي أشكالاً عدة متحورة، وتعتبر دلالة على استمرار الحياة، ورمزيتها تشير إلى الانتشار والتوهج.

دلالة الشكل:

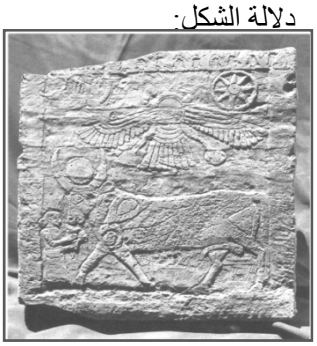

شكل (12) حجر مكعب عليه رسوم بارزة من منطقة تيماء– المملكة العربية السعودية

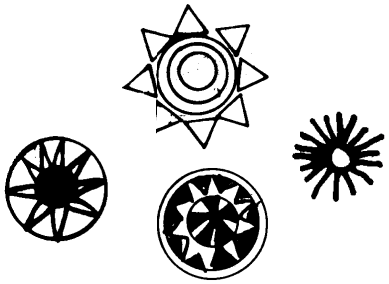

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة الشمس

4- الكف

دلالة المعنى: لقد كان لرمز اليد أو الكف في الأساطير وظيفة محددة وهي الوقاية من شر الحاسد فيقال: "خمسة بعين العدو أو الشيطان"، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم كرمز للدلالة على العطاء.

دلالة الشكل :

شكل (13) من النقوش الحائطية في منطقة نجران
المملكة العربية السعودية

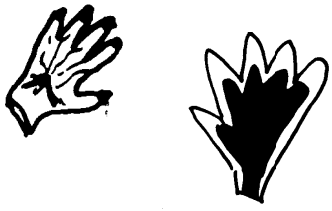

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة الكف

5- الراية

دلالة المعنى: وهو رمز يدل على وحدة الصف والدفاع عن الحق والحفاظ على الكرامة، وهو رمز الصمود وعدم التراجع ورمز الانتصار، وهذه العادة هي عادة إسلامية حيث عرف العرب في الفتوحات الإسلامية رفع الراية، وهو رمز شعبي للثبات والصمود والعزة.

دلالة الشكل :

شكل (14) احد الرسومات على المنسوجات القديمة

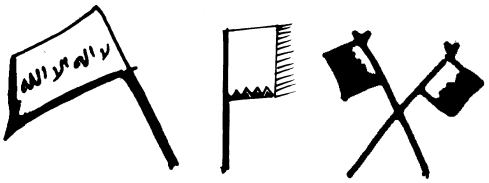

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة الراية

6- السيف

دلالة المعنى: السيف عند العرب أشرف الأسلحة، له صدارة البيوت وفخر الأنساب، يتوارثه الأبناء عن الآباء بوصفه عنواناً للشجاعة ورمزاً للأصالة. وهو جزء من تاريخنا وتراثنا، وبه دافع العرب والمسلمون عن إمبراطوريتهم، وقد تغنى به شعراء العرب كثيراً، وهو من الرموز الشعبية الدالة على العزة والكبرياء، وهو رمز للعدالة وللقوة، والشجاعة والأقدام والرجولة.

دلالة الشكل :

شكل (15) زخرفة حائطية من داخل احد بيوت منطقة القصيم- المملكة العربية السعودية

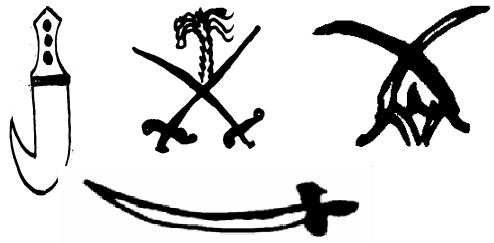

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة السيف

7- الكتابة

دلالة المعنى: وتتكون من مجموع مفردات وحروف اللغة بأنواعها، وتعد الكتابة الخطية رمزاً يعبر عن اللغة له مجموعة من العناصر وهي مفردات اللغة ومجموعة من الأساليب الكتابية تختلف

باختلاف المرجع. وترمز الكتابة إلى مفردات اللغة وتجمع في تكوين معين ليكون له معنى، وقد استخدم العرب الكتابة كرمز في الدلالة على الأماكن وشواهد للقبور، وللدلالة على الأصل والعرق.

دلالة الشكل:

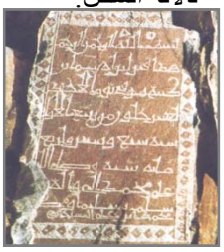

شكل (16) كتابات ونقوش خطية من قرية الخلف
المملكة العربية السعودية

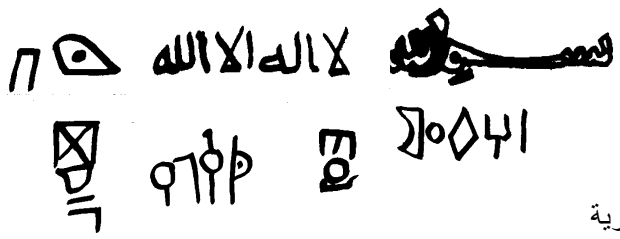

تحليل تصوري من قبل الباحثة للمفردة الكتابية

رابعاً: مفردات هندسية:

المثلث

دلالة المعنى: إن المثلث هو رمز إلى الاستقرار، ولكنه من جانب آخر يرمز إلى المجد وتحقيق الطموح وتحدي الصعاب وهو يرمز إلى الشموخ، والعظمة، والهيبة، للوصول إلى القمة. ومن جانب آخر قد يعني الاستبداد.

دلالة الشكل :

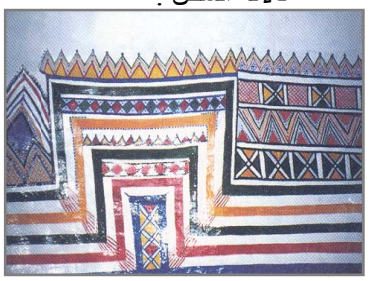

شكل (17) رسومات على جدران احد البيوت في منطقة عسير- المملكة العربية السعودية

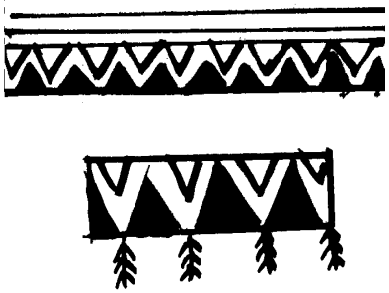

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة المثلث

الدائرة

دلالة المعنى: تعتبر الدائرة من الوجهة الهندسية سلسلة من المنحنيات المتصلة وقد استخدمت الدائرة منذ القدم كرمز للأبدية اللانهائية.

دلالة الشكل :

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة الدائرة

المعين

دلالة المعنى: يعتبر الشكل المختصر لصورة العين، ويرمز المعين إلى درء الحسد.

دلالة الشكل:

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة المعين

المربع:

دلالة المعنى: يعد من أهم العناصر الإسلامية المسطحة لأنه متوازن ومتكامل بالنسبة للمركز ويرمز إلى الأساسيات الأربعة، التراب، والماء، والهواء، والنار، ويمثل توازن الحياة والموت، وأهم دلالاته بناء المسلمين الكعبة علي شكل مربع.

دلالة الشكل:

تحليل تصوري من قبل الباحثة لمفردة المربع

ثالثاً: فاعلية المفردات البيئية كلغة بصرية:

تشمل الفنون البصرية جميع النشاطات الإنسانية الإبداعية التي تسعى إلى التعبير من خلال توظيف أشكال ومفردات فنية مرئية، وتقسم الفنون البصرية إلى الفنون الثلاثة الأساسية وهي: التصوير والنحت والعمارة، إلى جانب الفنون البصرية الحديثة كالتصوير الفوتوغرافي والفيديو وصناعة الأفلام.

والخبرة البصرية خبرة ديناميكية حركية تفاعلية وليست سكونية ثبوتية صامتة أو منعزلة، فما يدركه الإنسان ليس فقط ذلك التنظيم الخاص بالأشياء والألوان والأشكال والحركات والأحجام ولكن أيضاً هذه التوترات الخاصة الخفية والجلية وهذه الاتجاهات الخاصة لتلك التوترات والتي يتولد عنها في النهاية الإبداع البصري في مجلات الرسم والتصوير والنحت والعمارة وفنون الكاميرا والتليفزيون وغيرها. (عبد الحميد، 2007م).

ومما لا شك فيه أن العلاقة بين المفردات البيئية والفنون البصرية علاقة ترابطية إبداعية، فهي مصدر إلهام للعديد من الفنانين والذين وجدوا في هذه المفردات البيئية منبعاً خصباً للرؤية التعبيرية،

فتوظيف هذه المفردات بكل أبعادها الاجتماعية والتاريخية والدينية في العمل الفني يحقق صورة متكاملة في دلالات إبداعية معاصرة ذات هوية. فنجد اليوم أن العودة إلى تلك المفردات البيئية القديمة تشكل اتجاهاً غنياً تشكيلياً عند العديد من الفنانين الذين حاولوا نقل الأثر الجمالي والروحي والتعبيري لتلك المفردات البيئية إلى أعمالهم الفنية، فاستخدام الفنانين للمفردات إنما هو استخدم للقيم الكامنة من وراء تلك المفردة والتي يستخدمها الفنان في توصيل محموله الفكري والنضالي والسياسي والجمالي، سواء باستخدام المفردة في صيغة واحدة أو متكررة.

وللمفردات البيئية أشكال تعبيرية ذات تأثير فعال إذا ما أضيفت إلى الفنون البصرية ذلك لأن ارتباطها الوثيق بالموروث الثقافي والحضاري والهوية القومية يضيف للفنون البصرية قوة في التعبير عن المضمون بشكل واقعي يصل إلى المشاهد والمتلقي مما يؤثر إيجابياً على المضمون الفكري لتلك الفنون البصرية في أي مجتمع كان ويحقق الإبداع البصري.

وتأخذ تلك المفردات دور الوسيط في الصورة البصرية، فتوظيف المفردات البيئية في الفنون البصرية كوسيط مناسب يعطيها بعداً أوسع واشمل بحيث يسهم في التأكيد على فكرة تناغم المضادات في الفن البصري من خلال المزاوجة بين الماضي والحاضر، وتمكن الفنان من الاستفادة من محمولاتها الدلالية وتوظيفها لصالح العمل الفني كالاستعانة برمزية النماء في النخلة ورمزية الأصالة في الخيول ورمزية التوازن في المثلث. ويحملها القدرة على توصيل محتواها الدلالي في الفنون البصرية بكل بساطة باستخدامها كوحدة مفردة أو بكل تعقيد من خلال ارتباطها بشبكة من الدلالات الفرعية المتكررة كتلك التي استخدمها الفنان بيكاسو في لوحته الجورنيكا.

وبذلك نجد أنه على الرغم من أن المفردات البيئية حافظت على هيئتها على مر العصور إلا أن الفنان التشكيلي المعاصر يستطيع أن يكسبها صيغاً جديدة ومحمولات دلالية متوالدة من صيغتها الأساسية مما يوسع دائرة الفهم للرمز الأصلي ويحقق صفة التوالد والاستمرارية فيه.

وعلى مستوى الشكل تكمن جاذبية توظيف المفردات البيئية في الفنون البصرية كونها انطلاقاً من عناصر بسيطة كالخط والنقطة والدائرة وبالتالي تعطي أبعاداً معنوية وحسية لما لا وجود له في الوعي وتضفي عليه صفة الواقعية.

وهناك سمات وقواسم مشتركة بين المفردات البيئية والفنون البصرية، منها إيصال والفكرة والتعبير عنها، والاهتمام بكشف اللامحدود واللامرئي الذي يخلقه هذا التزاوج ليمتد ليتجاوز الإدراك العقلاني إلى الإدراك الحسي الذي يؤثر تفاعلياً في إدراك المشاهد ووعيه الحسي مما يؤدي إلى تكامل الصورة البصرية.

فتوظيف المفردات البيئية في الفنون البصرية إنما يحقق العديد من القيم الجمالية والفكرية منها:

- إثراء الرؤية والمفهوم.
- إعادة صياغة الفنون البصرية بمنظور جديد ومغاير يربط حاضرنا بماضينا.
- الخروج بتوليفات مستحدثة للمفردات البيئية واستثمار إمكاناتها اللانهائية.
- إثبات قدرة المفردة البيئية على الانصهار في جميع أشكال الفنون المعاصرة.

وهكذا تجد أن بيئتنا الشعبية تحفل بكم هائل من المفردات المتماشية مع ثقافتنا وحضارتنا وعقيدتنا وتاريخنا، ومن خلال ذلك نستطيع المحافظة على الموروث الثقافي والحضاري ودمجه مع الفنون بأنواعها وإثرائها والخروج بفكر جديد ونمط ذي أصالة.

نتائج الدراسة:

1. إن للمفردات البيئية دوراً هاماً في العملية الاتصالية من خلال مفهومها الشكلي أو المعنوي.
2. تنوع الإمكانيات التعبيرية للمفردات البيئية التي تثري التشكيلات الفنية وتجعلها ملائمة للمفاهيم والمقاييس الجمالية لهذا العصر.
3. البحث عن مصادر جديدة للمفردات البيئية تتسم بمميزات فنية حديثة متلائمة مع العصر ومتطابقة مع مظاهر الحياة الاجتماعية الحديثة.
4. التعرف على مصادر ومنابع المفردات البيئية في المملكة العربية السعودية كمرجعية موروثة تسهم في الاستمرار والمحافظة على الهوية والثقافة الوطنية.
5. التعرف على الصيغ الشكلية ومعانيها في المفردات البيئية مما يثري اللغة البصرية بشكل تفاعلي وحضاري.
6. فاعلية المفردات البيئية في تحقيق الإبداع في الفنون البصرية ومتطلبات التطور العلمي الواضح في مختلف العلوم.

التوصيات:

1. توصي الباحثة بضرورة تناول المفردات البيئية بمزيد من الدراسة والتمحيص.
2. التأكيد على أهمية المفردات البيئية كقيمة جمالية وفكرية تثري الفنون المعاصرة.
3. فسح المجال للمزيد من الدراسات والتجارب لإظهار صورة فنية جديدة للمفردات البيئية مغايرة للأنماط التراثية القديمة.
4. التأكيد على ضرورة استثمار المفردات البيئية كمفردة تشكيلية قادرة على الانصهار بشكل يتوافق مع روح العصر.
5. فتح مجالات عديدة ومتجددة للرؤية الفنية والتشكيلية من خلال العودة إلى المفردات البيئية شكلاً ومعنى.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

ابراهيم. زكريا. (1988): "فلسفة الفن في الفكر المعاصر"، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية .

توفيق. سعيد محمد. (1983): "ميتافيزقيا الفن عند شوبنهاور"، ط1، دار التنوير، لبنان.

حسن. سليمان محمود (1989): " الأواني الخشبية التقليدية عند عرب الجزيرة ". مدخل لدراسة الفولكلور العربي، ط1، دار البلاد للطباعة والنشر، جدة.

سيرنج. فيليب (1992): "الرموز في الفن –الأديان -الحياة ". ترجمة عبد الهادي عباس، الطبعة الأولي، دار دمشق سوريا.

عبد الحميد. شاكر(2007): " الفنون البصرية وعبقرية الإدراك ". ط1، دار العين للنشر، الإمارات العربية المتحدة.

فيشر. ارنست (2002): "ضرورة الفن ". ترجمة اسعد حليم ، ط1، هلا للنشر والتوزيع ، القاهرة.

المراجع الأجنبية:

Cassirer, Ernest, (1975) , “Essai sur lhomme” , De minuit , Editions - , Paris

Cirlot, J.E (1962) ,” A dictionary of Symbols,” Translated from Spanish by Jack sage ,philosophical library ,New York.

Gorge, Uwe, (1997) , “In the Deserts of this Earth,” Harcourt Brace Joranovich Publishes, New York.

Peirce, Charles Sanders, (1958) ,”Values in a Universe of Change-Selected Writings of Chales Peirce” , Doubleday Publishers,New York.

مراجع الانترنت:

1. الجموسي. عادل. (2007): "المفردة التشكيلية الهام مستمر " ، مجلة دروب للعلم والثقافة والأدب، تاريخ الاسترجاع 5/12/ 1434هـ علي الرابط :http://www.doroob.com/archives

2. سلامة.محمد (2009): " المفردة التشكيلية "، موقع التربية الفنية، المملكة العربية السعودية، تاريخ الاسترجاع 10/3/ 1434هـ علي الرابط :http://www.art.gov.sa/t14737.html

3. http://www.websters-online-dictionary, acsses on 22/4/2013